أَلقُرْآنِيُّون..
التَّعْريفُ.. الأَنْواعُ.. الدَّوافِعُ

د. سلام عبد الحسن الواسطي

فحوى البحث

مصطلح القرآنيون أو أهل القرآن هو اسم يطلق على تيار إسلامي يكتفي بالقرآن كمصدر للإيمان والتشريع في الإسلام، ولا يعتقدون إطلاقا بالسنة النبوية من أحاديث وروايات النبيﷺ على أساس أن الله قد وعد بحفظ القرآن ويستدلون على ذلك بأن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي اجتمع المسلمون كافة على صحته، بينما الأحاديث فيها اختلاف كثير على صحتها بين الفرق الإسلامية المتعددة. تقوم نظريتهم بمفهوم الحصر أي يعتقدون أنه لا توجد مرجعية معرفية في فهم الإسلام إلا القرآن الكريم. وكل المرجعيات المفترضة الأخرى من السنة بكل معانيها والإجماع وسيرة المتشرعة وسنة السلف كل هذه المعاني لا أساس لها في فهم الدين الإسلامي.

المقدمـــــة:

من الموضوعات المهمـــة التي قل تناولهامن العلماء والباحثين. بحيث أن موضوع -القرآنيون -أسلاميمن الناحية الشكلية، وكأنه يدافع عن الإسلام. والحقيقـــة هو خلاف ذلك يريـــد أن يشكك في الاسلام من ناحية المحتوى ولكن بصورة تدريجية يبدأ بإلغاء السنة النبوية أولاً، وهي من دعائم الاسلام ثم القرآن ثانياً.

هؤلاء القرآنيون أساس فكرتهم تعتمد على إنكار السنة النبويةوإلغاء دورها المهم في الشريعة الاسلاميـــة، لدوافع وسباب واهية. متجاهلين ما للسنة من أهمية، حيث تشكـــل الجزء المهم بالنسبة للدين الإسلامي والقرآن الجزء الأهم بطبيعة الحال. بحيث أحدهما مكمل للآخر فلا يفترقان كما في الحديث الشريف الذي وصى به النبيﷺ. فالسنة لها من الاهمية الكبيرة في الدين فإنكارها إنكار للدين والقرآن؛ لأن القرآن يأمرنا بإطاعة الرسول مطلقاً من خلال أقواله وافعاله وتقريراته. فأهمية البحث تكمل في عرض ودوافع واسباب اصحاب هذا الفكر، واعطاء نبذة تأريخية عن أهم مؤسسي هذه الفرقة مع نقدها، وكذلك الفصل بين القرآنيون الذين ينكرون السنة النبوية مطلقا والواقع الذين يحصرون المعرفة الدينية بالقرآن الكريم فقط وفقط وبين القرآنيون الذين يقدمون النص القرآني على السنة النبوية ويحكمون القرآن على السنة ولا ينكرون السنة. فالفرق كبير بينهما وان المصطلح-القرآنيون -اذا اطلق يراد به المعنى الاول وهم الذين ينكرون السنـــة مطلقا لا غيرهم بحيث لا يشمل المعنى الثاني الذين يحكمون القرآن على السنة ولا ينكرونها.

الكلمات المفتاحية:

القرآنيون، القرآن، السنـــــة النبوية، الدوافع، النقد.

منهج البحث:

ما يتطلبه البحث، وهو المنهج التاريخي الوصفي النقدي.

أهداف البحث:

التعرف على هذا المصطلـــــح من خلالانواعه واقسامه وكذلك بيان ابرز

شخصيات متبنين هذا المفهوم والفكر ومؤسسيه. وبعد هذا نتعرضالىالدوافع والأسباب والمبررات التي قدموها لإنكار السنة النبوية. ثم بعد ذلك نناقش أساس هذه الدوافع والاسباب، وردها بمعنى عرضها ونقدها.

أهمية البحث:

تكمن الأهمية في التفريق بين انواع هذا المفهوم وما هو المقصود به وعلى اي شيء ينطبق بمعنى تحديد المصداق. وبعدها عرض نتائج هذا الفكروالنتيجة الخطيرةالتي يصل إليها من خلال هذا الفكر المنحرف الا وهو انكـــار السنة النبوية.

سبب التسمية:

القرآنيون اسم أطلقـــــه عليهـــم المناهضون لهم، لكن قسماً من القرآنيين يرون أنه لا ضير في نسبتهم للقرآن بل إنه تشريف لهم، إذ يطلقون على أنفسهم «أهل القرآن». في حين أن القسم الآخر يتمسك باسم (مسلمين حنفاء) في إشارة لرفضهم للمذاهب والفرق الأخرى من المسلمين.

النشأة لهذه الظاهرة:

يعتبر بعض الباحثين أن فكرة إنكار السنة ظهرت لأول مرة على يد الخوارج ومقولتهم المشهورة ((حسبنا كتاب الله)). فزعم أن الكتاب المجيد شمل كل ما يحتاج إليه المسلمون جملة وتفصيلا، فلا مجال لإقحام السنة في مصدرية التشريع وأخذ الأحكام، وأنها لم تكن وحيا منزلا ولا يسع المسلم إلا اتباع ما أنزله الله، وأن التحاكم الى السنة والقضاء بوقفها يؤدي الى الاشراك في الحكم، وقد نهى الله سبحانه عنه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[ســـــورة الانعام: ٥٧] وأنها– السنة –لم تكن شرعا عند النبي ﷺ وقد فهمها الصحابة على هذا الاساس لذا نهوا عن كتابتها، كما أن السنة تزرع الفرقة بين المسلمين وتنزع الوفاق من صفوفهم، عكس القرآن الذي يوحد المسلمين ويحض على الوحدة وجمع شمل الأمة، فما حال دون تحقيق أمر القرآن يجب نفيه. وإن إنكار السنة من مصدرية التشريع في الإسلام يعود تاريخه الى القرن الثاني الهجري، غير أن مصادر التاريخ لا تحدثنا عن أفراد أو

جماعات انتسبت الى الإسلام ودعت الى نبذ السنة بعد ذلك القرن، وتسربت فكرة إنكار السنة جملة وتفصيلا في القرن الثالث عشر الهجري الى بعض البلدان العربية وغير العربية من الدراسات الاستشراقية، أما في العصر الحديث فظهرت فكرة إنكار السنة في شبه القارة الهندية، منذ نهاية القرن التاسع عشر، على إثر انتشار الأفكار التي بثها أعضاء حركة السيد أحمد خان، غير أن مفعولها سرى بشكل واضح في بنجاب. وفي سنة ١٩٠٢م. بدأ غلام نبي المعروف بعبد الله جكر الوي مؤسس الحركة القرآنية متخذا (مسجد جينيان والي) بلاهور مقرا لحركته[١].

وقد تزعم حركة القرآنيين في بداية الأمر شخصيتان، محب الحق أبادي في بهار -شرقي الهند- وعبد الله جكر الوي في لاهور. فيمدة الاحتلال الإنجليزي على يد «أحمد خان». ثم تلاه «عبد الله جكرالوي» في باكستان الذي كان يشتغل بدراسة الحديث، من ثم اصطدم بالعديد من الشبهات حوله، فتوصل في النهاية لإنكار الحديث كافة وأن القرآن هو ما أنزله الله على الرسول محمدﷺ، وأسس جماعة تسمى ((أهل الذكر والقرآن)) التي دعا من خلالها إلى أن القرآن هو المصدر الوحيد لأحكام الشريعة وألف في ذلك كتباً كثيرة. وتبنى هذا الفكر «أحمد الدين الأمرتسري» مؤسس جماعة ((أمة مسلمة)) التي كان يدعو فيها لأفكاره. وأخيرا «غلام أحمد برويز» ثم بدأ يدعو لأفكاره من خلال مجلة (طلوع الإسلام) التي أسسها لهذا الغرض. ولا تزال أفكار هذة الحركات متواجدة في شبه القارة الهندية إلى الآن[٢].

يُعد أحمد صبحي منصور أن جذور القرآنيين بدأت منذ حركة الشيخ محمد عبده الإصلاحية عام ١٩٠٥م. فيقول أنمحمد عبده رفض الحديث والتصوف وانتقد البخاري وأنكر الشفاعة، ولكن تلميذه محمد رشيد رضا خالف مبادئه وتعاون مع السلفية وهو أستاذ لـ (حسن البنا) مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، واستطرد قائلا أن آثارا من مدرسة محمد عبده ظلت باقية وآخر من كان فيها الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق الذي

توفي في ستينات القرن الماضي، وقبله الشيخ مرتضى المراغي شيخ الأزهر في الأربعينات، وكان الشيخ محمود شلتوت حين ذاك مديرا لمكتبه.

وقد كانت بداية الدكتور منصور من خلال عمله بالتدريس في الأزهر عام ١٩٧٧م، ولكنه اصطدم بعلماء الدين السنة من الصوفية والسلفية الذين اضطهدوه وانتهى الأمر بفصله عن العمل عام ١٩٨٧م، وإدخاله السجن شهرين في نهاية العام نفسه متهما بإنكار السنة. عمل بعدها بشكل مستقل يدعو لأفكاره من خلال كتبه ومقالاته وأبحاثه وندواته في مركز ابن خلدون وغيره.

يقول د. منصور: (أصبحنا مجموعة كبيرة من أساتذة جامعات ومحامين وغير ذلك، وازداد التعاطف معنا، وكنت قبلها أخطب في مساجد القاهرة وغيرها). وفي عام ٢٠٠٢م، أضطر للهجرة لأمريكا لاجئا سياسيا بعد إغلاق مركز ابن خلدون وموجة اعتقال شملت صفوف الناشطين من القرآنيين أدخلتهم السلطات المصرية السجن بتهمة ازدراء الأديان.

بعدما استقرت أحواله في أمريكا ظهر على ساحة الإنترنت العربي داعيا لمنهجه الجديد، فأسس المركز العالمي للقرآن الكريم «IQC» في ولاية فيرجينيا وموقعه على الإنترنت أهل القرآن ومن خلاله بدأ ينشر مقالاته وكتبه وأبحاثه للتعريف بمنهجه والدعوة إليه[٣].

يلاحظ أن هناك تهمة بالقرآنية وجّهت إلى بعض المعتزلة وبعض الخوارج وبعض الشيعة، مثل ما جاء في كتاب الأمّ للشافعي، عند حديثه عن ردّ مقالة الفرقة التي ردت الأخبار كلها، مما يوحي بوجود حالة إنكار للحديث والسنة.

لكن هذه التهمة لا تحمل ما يؤكد وجود تيار أنكر السنة تاريخياً، بل كانت المناقشات مركزة في حجم الأحاديث المعتبرة، فبعضهم كان يوسعها وبعضهم يضيقها، فلا يمكن القول: إن ظاهرة القرآنيين لها عمق تاريخي واضح. نعم من الممكن أن تجد أفراداً لها من هنا وهناك، لكنها ليست ظاهرة واسعة على الإطلاق.

أما شعار ((حسبنا كتاب الله)) فلا يرى فيه كثيرون أنه يراد منه ترك السنة،

بقدر ما يعبر عن حالة خاصة وواقعة جزئية، وإلا فإن من أطلق هذه الكلمة قد أخذ بالسنة في حياته مراراً، كما تفيد الشواهد التاريخية والحديثية[٤].

منهجهـــــم:

منهج القرآنيين يعتمد في تدبر القرآن على المنهج العقلي بفهم القرآن بالقرآن؛ ويرفضون كلمة تفسير القرآن حيث يعتقدون أن التفسير يكون للشيء الغامض أو المعقد بينما القرآن ميسر للفهم والتدبر كما هو مذكور في القرآن نفسه. كما يرفض القرآنيون روايات أسباب النزول أو التفسيرات المذكورة في كتب التراث، فهم يرون أن عامة المسلمين يقدسون تفسيرات التراث وروايات أسباب النزول حتى وإن تعارضت مع القرآن فيقدمون كلام البشر المشكوك بصحته وسنده، والتي يطلق عليها -القرآنيون -مسمى الأديان الأرضية على كلام الله المقطوع بصحته وهو الإسلام الصحيح في نظرهم. وإن كنا نعتقد بأن المنهج العقلي صحيح في باب المعرفة الدينية ولكن أشكلنا ان هذا المنهج لا ينكر السنة وكذلك لا يمكن ان يفسر او يحيط بكل الاحكام الدينية أو يحمل الكتاب العزيز ما ليس فيه حيث ان القرآن كتاب هداية وهذا ما أجمع عليه المسلمون من جميع الفرق والمذاهب، وليس كتاب فقه.

أنواع القرآنيون:

القرآنيون كلمة لها مفهومان أو نوعان وهما كالتالي:

النوع الاول: القرآنيون الذين ينكرون السنة النبوية، وتقوم فكرتهم على مفهوم الحصر أي يعتقدون أنه لا توجد مرجعية معرفية في فهم الإسلام إلا القرآن الكريم. وكل المرجعيات المفترضة الأخرى من السنة بكل معانيهـــا والإجماع وسيرة المتشرعة وسنة السلف كل هذه المعاني لا أساس لها في فهم الدين الإسلامي. وهم إلى قسمين:

القسم الاول: الذي ينكر السنة النبوية مطلقا وان القرآن هو المصدر الوحيد لفهم الدين وذلك ان السنة الواقعية ليست بحجة حتى لو جلست مع الرسول ﷺ وسمعت منه موقفا ليس موجود في القرآن فهذا ليس بجزء من الدين. قد يجب عليك

ان تطيعه من باب إنه ولي أمر المسلمين في ذلك الزمان. لكن ما يقوله لك إذا لم يكن موجودا في القرآن فليس جزء من المنظومة الدينية.

وهؤلاء يؤمنون بمرجعية القرآن في مقابل إنكار حجية السنة الواقعية حتى لو ثبتت السنة بطريق قطعي علمي متواتر. بالنسبة الى هؤلاء لا يوجد دليل على إتباع رسول الله ﷺ في غير ما جاء به في القرآن إلا من باب اطاعـــة الحاكم فقط. وهو منتفي اليوم بحيث يكون حكمه مطاع في حياته وزمانه وهذا اليوم يُبحث في مدخلية الزمان والمكان في فهم الاحكام والموروث الديني.

القسم الآخر: الذين ينكرون السنة لعدم وجود طريق يقيني إليها، حيث ان القرآن حجة و كذلك السنة اليقينية ولكن مشكلتهم لا طريق مضمون و يقيني لاكتشاف سنة الرسول ﷺ. نحن نعتقد في اصل القرآن، والسنة النبوية حجة ايضا فلو إننا نجلس اليوم مع رسول الله ﷺ ثم يأمرنا بأمرٍ أو بلغنا بطريق يقيني إنه قال شيء ما فنحن نأخذ به ونحن نقبل به ونحن نعتبره جزءا من المنظومة الفكرية الاسلامية. لكن مشكلتنا ليست مع السنة الواقعية. مشكلتنا انسداد الطريق امامنا لمعرفة السنة الواقعية. أي لا يوجد امامنا أي طريق مضمون ويقيني وقطعي يؤكد لنا ان رسول الله ﷺ قال كذا وكذا. وهؤلاء يعدون أن السنة المحكية، والسنة المنقولة ما في كتب الحديث كلها ظنون في ظنون. ويتعاملون مع ما هو موجود في التراث الإسلامي من منقولات ومرويات عن الرسول أو عن أهل بيته أو عن الصحابة أو عن التابعين يعدونه برمته ظنون في ظنون ظلمات بعضها فوق بعض إذا اخرج يده لم يكد يراها. وبذلك ينكرون السنة النبوية بدعوا الانسداد وعدم الوصول الى السنة الواقعية.

نظرة تاريخيـــة

لأهم المؤسسين لهذا النوع:

نستطيع أن نذكر أهم علماء واصحاب هذا النوع من كلا قسميه، حسب التسلسل التاريخي.

١. **السيد أحمد خان**: هو السيد أحمد خان بن أحمد مير المتقى بن عماد الحسيني،

ولد في مدينة دلهي في شبه القارة الهندية سنة١٨١٧م. بدأ دراسته للقرآن الكريم، ثم تعلم العربية والفارسية، ثم درس العلوم الدينية، وعندما توفي والده، وكان في الحادية والعشرين من عمره التحق للعمل بشركة الهند الشرقية. وكان ناشطاً في التأليف والكتابة وإصدار المجلات العلمية، وأنشأ الكثير من المعاهد والمدارس، ثم ختم كل ذلك بتأسيس جامعة «عليكره». وقد توفي «أحمد خان» في مارس ١٨٩٧م، ودفن بجوار المسجد الذي بناه وسط جامعة (عليكره).

ومن عقائده، أولَ الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر الملائكة والجن والشياطين، فأوَّلَ الملائكة بأنها عناصر الطبيعة وقواها من ريح ومطر وبراكين. وأوَّلَ الجن بأنهم سكان الغابات والصحاري والذين يزاولون أنشطتهم في ظلام الليل فلا يراهم أحد، كما أول الشياطين بأن المراد بها شهوات النفس وأهواؤها. وكذلك ادعى أن السنة النبوية لم تدون لأمد طويل، ظلت ذلك الأمد حبيسة الصدور، مما هيأ الأمر للزيادة عليها والنقص منها وتغيير محتواها[٥].

٢. **عبد الله جكرالوي**: هو مولوي-الشيخ-عبد الله بن عبد الله الجكرالوي، نسبة إلى بلدة (جكرالة) التي ولد بها، وهي إحدى قرى إقليم «البنجاب» بباكستان حالياً، وعاصمته «لاهور». وقد ولد عبد الله حوالي ١٨٣٠م. في أسرة علم ودين، وكان والده يتبع مشيخة إحدى الطرق، فلما ولد ابنه وسماه عبد الله، حمله إلى شيخ الطريقة فباركه ودعا له وسماه: «غلام نبي» أي خادم النبي، أو «عبد النبي». وقد تلقى «عبد الله جكرا لوي» علومه بالمدارس الأهلية، ثم سافر بعد ذلك إلى مدينة «دلهي» حاضرة الهند لدراسة الحديث الشريف والتخصص فيه، وبعد أن أتم دراسته، ولمس من القدرة على تدريس الحديث وتعليمه للآخرين عاد من «دلهي» مدرساً ومعلماً، ثم دخل مجال التأليف والكتابة فيما تلقاه وتخصص في علوم الحديث الشريف. وقد ظل على ذلك زمانا

يزاول تعليم الحديث وخدمة السنة تعليماً وتأليفاً ومناظرة مع الآخرين. حتى اصطدم ببعض مشكلات من متشابه الحديث الشريف، فخرج على الناس بعقيدته الجديدة التي أعلن عن شعارها بمقولته الشهيرة «هذا القرآن هو وحده الموحى به من عند الله- تعالى -إلى محمدﷺ أما ما عداه من السنة فليس بوحي» ثم شرع في تحقيق مذهبه الجديد وشرحه، والدعوة إليه، ومحاولة اكتساب الأنصار له. من مؤلفاته تفسير القرآن بآيات الفرقان، وترجمة القرآن بآيات الفرقان، وصلاة القرآن، الزكاة والصدقات كما جاء في آيات بينات. وكل كتبه طُبعت باللغة الاردية، لاوجود لها في الاسواق المعاصرة. والمكتبة الوحيدة التي احتفظت بجل كتبه هي مكتبة (ربوة) في باكستان. توفي سنة ١٩١٤م فدفن في حي (ياروخيلبميانوالي)[٦].

٣. **أحمد الدِّين الأَمْرِتْسِرِي**: هو الخاجة أحمد الدين بن خاجة ميان محمد بن محمد إبراهيم الأمر تسري. نسبة إلى مدينة (أمرتسر) في الهند التي ولد بها عام ١٨٦١م، وبعد ولادته حمله والده إلى شيخه فمسح الشيخ رأس الطفل ودعا له وسماه باسمه هذا. وقد بدأ أحمد الدين تعليمه بالقرآن المجيد، ثم العلوم الدينية عند بعض المشتغلين بذلك، ثم التحق بمدرسة المبشرين -المنصرين -فدرس هناك كتاب النصارى المقدس وبعض العلوم العصرية الحديثة[٧]. وبعد تخرجه من مدرسة المبشرين التحق بالثانوية الإسلامية في (أمرتسر) ونال شهادتها، وهذا غاية ما وصل إليه الخواجة في التعليم المنظم، غير أن ألمعيته وشغفه بالمطالعة أكسباه شهرة واسعة، فعين عضوا في هيئة التدريس في المدرسة الإسلامية في (أمرتسر) برتبة أديب. وفي عام ١٩١٧م أحيل الى التقاعد لبلوغه السن القانونية، وفي عام ١٩١٨م عين مدرسا في مدرسة البنات الابتدائية، التابعة لبلدية (أمرتسر) حتى عام ١٩٣٠م وفي المدة نفسها اشتغل الخواجة بتدريس

القرآن الكريم، فذاع صيته في أرجاء شبه القارة الهندية كلها، والجدير بالذكر أن الخواجة كان كثير المطالعة يتحمل المشاق في تحصيل العلم مما ادى الى ضعف بصره منذ الصغر واعياه الشفاء، وظل كليل العين حتى الممات. ثم اعتمد بعد ذلك على جهوده الخاصة في اكتساب العلوم والمعارف، مما مكنه من تحصيل كثير من العلوم الحديثة كالتاريخ والجغرافيا والفلك والاقتصاد والمنطق والرياضيات بجانب العلوم الإسلامية التي كانت عنايته الأولى، كذلك كان يجيد العربية والإنجليزية والفارسية والأردية وبعض اللهجات الإقليمية[٨]. فقد أخذ عن «السيد أحمد خان» إنكار السنة، واتصل بعبد الله جكرالوي عبر زيارات متوالية، وأخذ عنه أفكاره، وكان أشد مكراً من عبد الله، حيث كان ينصحه بعدم التصريح بإنكاره للسنة، واختراع الفرائض والعبادات التي لا يعرفها المسلمون زاعماً أنه استقاها من القرآن، كذلك كانت له صلة بـ(محمد إقبال)، وكان كثير الاجتماع به، والمباحثة معه، مما ألقى ظلالاً على (محمد إقبال) توهم تأثر إقبال بفكر القرآنيين، وأنه مال معهم إلى إنكار السنة. كذلك كانت له صلة بميرزا غلام أحمد القادياني مؤسس الديانة القاديانية، ومن المأثور أنه لم يكن يشدد النكير على القادياني ولا غيره، بل كان يحضر له دروسه ولغيره ممن يخالفونه الفكر والعقيدة. قام الخواجة في عام ١٩٢٦م بتأسيس طائفته في (أمرتسر) والتي اختار لها اسم أمة مسلمة[٩]. ومن مؤلفاته معجزة قرآن، و أصل مطاع، برهان الفرقان وغيرها توفي سنة ١٩٣٦م[١٠].

٤. **الحافظ أسلم جراجبوري**: هو محمد أسلم بن العلامة سلامة الله البهوبالي[١١] المؤرخ الفيلسوف أحد أركان القرآنيين البارزين[١٢]. ولد في جراجبور عام ١٨٨٠م بمقاطعة (أعظم كره) في الهند من أسرة أهل الحديث، أثناء أداء والده مناسك الحج، وحفظ القرآن في سن التاسعة

من عمره، فلذالك لقب بالحافظ ثم أخذ في دراسة اللغة الفارسية لغة العلوم الدينية آنذاك، ثم الرياضيات، واللغة الانجليزية والعربية، ومن المعروف أن الحافظ أسلم لم يدرس في مدرسة منظمة -حكومية -كما أنه لم يسجل في جامعة من الجامعات، بيد أن شغفه الشديد بالعلم والمطالعة سما به الى مكان مرموق، و في عام ١٩٠٣م أصبح كاتبا لجريدة (بيسة اللاهورية) اليومية، ومن هنا ذاع صيته في شبه القارة الهنديـــة، ولكن ترك هذه الوظيفة عام ١٩٠٦م ليصبح مدرسا في ثانوية عليكره، وفي عام ١٩١٢م أصبح أمينا عاما لمكتبة هذه الثانوية، وفي عام ١٩٢١م تحولت هذه الثانوية الى جامعة عليكره الإسلامية، فأصبح الحافظ بها استاذا ومحاضرا، وبعدها غادر الى جامعة الملية الإسلاميـــة. فكـــان الحافظ متأثرا كثيرا بأفكار الخواجة أحمد حيث تُرجِمَتْ كتبه الى اللغة العربية نحو معجزة قرآن، كما ان الحافظ سار في موضوع الإرث على نهج الخواجة، فأخرج كتابه ((محجوب الإرث)) نقدا لقواعد الميراث المجمع عليهـــا بين المسلمين، ومن تأليفاته (تاريخ امت)، و (الوراثة في الإسلام)، (عقائد إسلام)، حياة حافظ شيرازي وغيرها. بعد قيام دولة باكستان عام ١٩٤٧م هاجر إليهـا الحافظ بطلب من تلميذه (برويز)، غير أنه عاد الى الهند بعد مدة قصيرة لعدم وجود جو مناسب له، وتوفي عام ١٩٥٥م عن عمر قارب ٧٥ عام[١٣].

٥. **غلام أحمد برويز**: هو غلام أحمد برويز بن فضل دين بن رحيم بخش. ولد في يوليه من عام ١٩٠٣م بالجانب الهندي من إقليم البنجـــاب. وقد تلقى علومه الدينية على يد جده، ثم أكمل بالمدارس النظامية، وقد اتجه إلى الوظائف الحكومية قبل أن يكمل تعليمه الثانوي، فقضى حياته الوظيفية بالمطبعة الحكومية حيث وصل إلى وظيفة مدير المطبعة. فقد جاء على هيأة خطب منبرية ودروس داخل المساجد في بداية الأمر، ثم تولت مجلته «طلوع

إسلام» نشر أفكاره بعد ذلك، ثم توسعت أفكاره شيوعاً عبر مقالاته ومؤلفاته الكثيرة، ومن خلال نوادي حركته التي أنشأها لتضم أتباعه في إنكار السنة، وسماها ((نوادي طلوع إسلام)) نسبة إلى مجلته تلك. ولقد زاد من شيوع حركته وذيوع أفكاره انتقاله إلى دولة باكستان الوليدة بعد استقلالها عن الهند. حيث انتقل إلى مدينة كراتشي التي ما تزال حتى اليوم حاضرة البرويزيين أتباع برويز. وقد كانت الظروف وقتذاك ملائمة له ولحركته، حيث كان على رأس الدولة الفتية قائدها (محمد على جناح)[١٤].

وتتلمذه على يد أستاذه الفكري الحافظ محمد، حيث أورثه جميع مخلفات الخواجة الفكرية حول السنة، وإذا أردنا ان نعرف موقفه من أحمد خان وافكاره فيقول: (وفي عصرنا الحاضر يعتبر السيد أحمد خان والدكتور محمد إقبال أشهر مفكري هذا العصر)[١٥].

حيث يرى برويز ان القرآن يمتاز بذكر الأصول وترك الجزئيات الى مركز المِلَّةِ، وبذلك يلغي السنة من مصدر التشريع في الإسلام. ويعد برويز أكثر القرآنيين كتابة وتأليفا، ومن مؤلفاته لغات القرآن أربع مجلدات، ومفهوم القرآن ثلاث مجلدات، واسلام كياهن وغيرها كثير. توفي عام ١٩٨٥م[١٦].

ثم تابع هذه الفكر في عصرنا الحاضر، أمثال محمد اركون، ونصر حامد ابو زيد، ومحمد شبستري، وعبد الكريم سروش، ومحمد شحرور، ومحمد صبحي، وغيرهم، المسمى اليوم بالحداثويين.

النوع الثاني: القرآنيون الذين لا ينكرون السنة، ولكن يقولون تقديم القرآن على السنة في كل المجالات وهم لم يؤمنوا بمبدأ الحصر كما في النوع الاول، وإنما يؤمنون بمبدأ الحيلولة و الحكومة بمعنى كل المرجعيات المعرفية ترجع وتؤول الى القرآن ويجب ان تأخذ مرجعيتها من القرآن ويجب ان تأخذ حجيتها من القرآن وأي حديث يصل إلينا لا بد أن تحكمه النصوص القرآنية لا العكس. هؤلاء يطلق عليهم احيانا القرآنيون ولكن لا يراد بهؤلاء الذين ينكرون حجية السنة أو

الذين لا يؤمنون بالحديث النبوي اصلا. هم يعتقدون أن القرآن مقدم على كل شيء وأن القرآن هو الذي يمنح سائر الامور المعرفية الحجة والاعتبار وأن القرآن لا يقدم عليه رواية أو اجماع أو شهرة أو سيرة بل هو مقدم على الرواية والاجماع والشهرة والسيرة. وهؤلاء قد نجد لهم حضورا في الوسط الشيعي بخلاف القرآنيون بالنوع الاول الذين يقولون بالحصر المرجعية الدينية بالقرآن وينكرون المرجعيات الاخر، إذ نادر ما نجد لهم تيارا في الوسط الشيعي بإسم التيار القرآني. بل هو تيار موجود في الوسط السني. وهم قسمان:

القسم الاول: محورية النص القرآني في جميع العلوم ((الفقهية والعقدية والاخلاقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها)) على الحديث النبوي والاعتماد على الاحاديث المتواترة فقط يعني الحصر للاحاديث المتواتره.

القسم الآخر: محورية النص القرآني وحاكميته على الأحاديث النبوية مطلقا. وهؤلاء يقولون كل مرجعية لابد أن تعرض على القرآن قبل أن تعطيها الحجية. إذا جاء حديث لا يكفي لأن يكون السند صحيح. بل لابد عرضه على القرآن أولا. فإن لم يخالف كتاب الله، فهو حجة بعد تمام سائر حيثيات الحجية وأما من خالف كتاب الله فلا يكون حجة من الاساس، وان كان متواترا. فالنقطة المركزية عندهم هي في مفهومهم للعرض على القرآن، فالكل تقريبا متفقين -بخصوص الوسط الشيعي -على عرض الحديث على الكتاب. حيث صرح الشيخ الانصاري في ابحاثه الاصولية ان أحاديث العرض على الكتاب بلغت حد التواتر المعنوي[١٧]. فإذا اردت ان تعرف ما هو الحديث الكاذب بعرضه على الكتاب لا يكون نسبته مع القرآن نسبة التباين نحو((اقم الصلاة ولا تقم الصلاة)). بل بمعنى ان مزاج القرآن العام وروح القرآن العام وتظافر الايات تؤسس الى مفهوم ما مع ان الروايات تؤسس الى غير هذا المفهوم، وتخالفه. والمثال المشهور على ذلك ما ذكره الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره في ابحاثه الاصولية وهو من القائلين بهذا المفهوم بعرض الرواية على القرآن قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [سورة الاسراء: ٧٠] أي تكريم الانسان فإذا جاء حديث- وهو موجود وهذا ليس فرض وبعضهم يصححه سندا -يقوللايكون بينكم وبين الاكراد مناكحة أو تعامل لأنهم قوم من الجن فكشف عنهم الغطاء. فهذا الحديث ترده لأنه يخالف مبدأ التكريم الوارد في القرآن مع إنه على الطريقة الحديثية هذا الحديث لا يخالف. بحيث تقول ان الله تبارك وتعالى كرم بني ادم إلا الاكراد أي ان آية التكريم عامة وهذا الحديث جاء مخصصا وهو كثير في القرآن. ولكن السيد الشهيد يرى غير ذلك وان القضية ليست بهذا المعنى من المعارضة هناك مزاج قراني عام وهو تكريم الانسان وهناك حديث يخالف هذا المزاج وهذا التكريم للانسان فقط لانه ولد من قوم من الاقوام[١٨]. فإذن هذا الحديث يعارض النص القرآني فلا حجية له من الاساس. والقائلون بهذا من الوسط الشيعي كثر أمثال السيد العلامة الطباطبائي وتلميذه الشيخ جوادي آملي و الشيخ محسن قرآتي والسيد محمد حسين فضل الله والشهيد الصدر والسيد محمد صادق طهراني وغيرهم.

إذن هم مؤمنون بحجية السنة النبوية بشرط عرضها على كتاب الله بحيث لا تكون معارضة له. وهم يشتركون مع القرآنيين في النوع الاول بحاكمية القرآن ومرجعيته، ويختلفون معهم بعدم الحصر. ويشتركون مع الذين يقولون بحجية السنة النبوية من أهل الحديث والحشوية، ويختلفون معهم بعدم حاكمية السنة على الكتاب. ومن الذين قالوا بحاكمية السنة النبوية على النص القرآنية الذين رفضوا أحاديث العرض على الكتاب بدعوا ان اخبار العرض على الكتاب موضوعة، وضعها الخوارج لكي يسقطوا قيمة السنة النبوية لانهم اعتبروا أحاديث العرض بمثابة اسقاط السنة النبوية في نهاية المطاف وناقشوا في اسانيده.

الخاتمة:

القرآنيون بالنوع الاول، هم من ينصرف إليهم إطلاق هذا المفهوم- القرآنيون -وهم على قسمين: الاول يعتقدون بمرجعية القرآن في فهم الإسلام ((مبدأ الحصر))، وينكرون

سائر المرجعيات الاخرى وعلى رأسها السنة النبوية، لانها في الاصل ليس بحجة عندهم ولو بلغت بالتواتر. أي عدم اعتبار السنة النبوية اطلاقاً؛ لأنها رأي شخصي للنبي ولم تكن وحياً من المولى مثل القرآن. والآخر يعتقدون بمرجعية القران في فهم الاسلام، وينكرون حجية السنة بدليل الانسداد وعدم الوصول الى السنة الواقعية.

ومنهـــا يعلـــم انه عندما نقول: القرآنيون كلمة لها مفهومانأو نوعانفلا بد ان نميز أي معنى من القرآنيين يُقصد بها هل؟. هو النوع الاول، الذي يحصر المعرفة الدينيةبالقرآن. ام هو النوع الثاني، الذي يقبل وجود مصدر معرفي اخر غايته محكوم للقران.

الاسباب والدوافع لإنكار السنة:

توجد اسباب ودوافع سياسية، وذلك من خلال إلقاء الشبهـــات على الدين الاسلامي الحنيف من قبل اعداء الاسلام المتمثل بالغرب أو السياسة الغربية الكافرة. والصراع القائم بين مفهوم الظلموالمتمثل بالفراعنة، وبين العدل المتمثل بالانبياء والاوليـــاء والصالحين. واسباب فكرية، التي يدعونهـا ومبرراتهـــم لإنكارهم السنة الشريفة. لانكار الدين من خلال التشكيك في اركانه ثم تقديم مبررات واهية لأجل اقناع وتغرير أكثر عدد ممكن في هذه الافكار الواهية والمستوردة بدوافع الحقد والكره لهذا الدين الحنيف، وللاسف ان الأمة تشرب من هكذا سموم بدواعي شتى ومصطلحات رنانة مثل الاصلاح والتطور والأزدهاروالأنفتاح وغيرها، غير ان هذه المصطلحات لا اشكال فيها ولكن استخدمها اعداء الدين في بعض الاحيان ضد الدين الحنيف بطرق ملتوية وهذا أسلوبهم الشيطاني وديدنهم. نذكر أهم هذه الدوافع والاسباب:

الدافـــع الأول: ما يسمى بالحركة الاصلاحية التي انطلقت من شبه القارة الهندية. يجب ان تُوفَّق بين العلم والدين لاسيما في العلوم الطبيعية خلاف وضعنا الحالي فالتوفيـــق بين العلم والدين في العلوم الانسانيـــــة وفي علم الاجتماع وعلم النفس والاقتصـــاد والسياسة هل ان الاسلام لديه مشروع يقابل مشروع

الغرب. التحدي الاكبر اليوم في العلوم الانسانية أما في القرن التاسع عشر كان التحدي الاكبر في العلوم الطبيعية أي يجب ان نوفق بين اخر معطيات الاجتهاد الاسلامي مع اخر معطيات العلـــــوم الطبيعية في مجال الفلك والطب والكيمياء والفيزياء وهكذا. وكان يقول في بعض اشاراته حتى يلغي بعض المصادر المعرفية التي تتصادم مع العلم كان يقول ان في السنة الشريفة مشاكل كثيرة واحاديث كثيرة تصادم العلوم الطبيعية وينبغي علينا ان نتخذ موقف منها ومن هنا بدأ (سيد احمد خان) بالتدقيق في قيمة السنة النبوية ويقول السنة ليست مصدرا موثوقا وذلك لاسباب ثلاثة من منظوره.

السبب الاول: اشكاليـــــة التناقل الشفوي وذلك في القرن الهجري الاول ليس فيه تدوين لا توجد نسخة واحدة جاءت من القرن الهجري الاول كلها- السنة النبوية -قيل عن قال ولهذا لا يمكن الوثوق في التناقل الشفوي.

السبب الثاني: اشكالية النقل بالمعنى، وأن الروايات صنيعة الراوي وهو نقل بالمعنى حسب فهم الراوي ونقل لك من يفقه ومن لا يفقه ولذلك لا يؤخذ بها.

السبب الثالث: اشكاليـــة الفاصل الزمني بين الراوي وعلماء الجرح والتعديل مشكلة كبيرة علماء الجرح والتعديل في القرن الفلاني والراوي في القرن الفلاني كيف عرف هذا العالم الرجالي ان هذا الراوي ثقة وهذا غير ثقة مع الفاصل الزمني الشاسـع. لذلك قال (السيد احمد خان) يجب ان نوفق بين العلم والدين وهذه السنة فيها كثير من يناقض العلم علينا اعادة النظر فيها.

الدافع الثاني: أثر الحديث في تمزيق المسلمين (انطلاق مشروع العودة للقرآن) هناك تيار واسع في العالم الاسلامي من المثقفين يعتقد ان سبب خلافاتنـــا نحن المسلمين، هي الاحاديث واذا وضعنـــا هذه الكتـــب الحديثيه وجعلنـــا الكتاب الكريم ((القرآن)) تنحل هذه الخلافات، ولاتوجد مشاكل. لذلك بدأت اعـــادة النظر في الحديث إنه ليس مرجعـــا وإنما المرجع الى القرآن الكريم فإن حل مشاكلنا لا يكون إلا بالقرآن الكريم وهذا الدافع

رئيس لظهور تأسيس هذا المفهـــوم أو المصطلح.

مبرر هذا الدافع: هو رفع هذا الخلاف، من خلال الاعتماد على القرآن فقط وطرح السنة النبوية التي اصبحت هي المصدر في الخلاف بين المسلمين وهذا الخلاف ادى الى ضعف المسلمين وذلك للاقتتال فيما بينهم والتناحر بحيث اصبحوا فرق ومذاهب ومجموعات صغيرة هنا وهناك. لذلك لم تكن السنة النبوية مصدرا يعتمد عليه. إذ قالوا:

١. عدم وحيانية السنة النبوية. وإنما هي أقوال نسبها الناس الى الرسول.
٢. دعوا ان القرآن فيـــه كل شيء فلا نحتاج الى السنة النبوية أو أي مرجع آخر.
٣. ان السنة النبويـة، هي عملية تطبيق للقرآن في زمن معين والآن انتهى دورها بانتها ذلك الزمان، ولم يكن شرعـا منزلا ولم يبلغ النبيﷺ انه شرع. ولذلك الصحابـــــة رفضوا الحديث ومنعوا تداوله بين المسلمين على رأسهم عمر بن الخطاب[١٩].

نقد الدوافع الرئيسية للقرآنيين:

دعوى الاصلاح الديني واسبابه. يرد عليه:

١. **اشكال نقضي**: وهو لا نسلم بدعو ان السنة النبوية تعارض العلم أو هي خلاف مبدأ العلـــم بل العكس هو الصحيح.
٢. **اشكال حلي**: وهو ان سلمنا بهذا أي ان السنة النبوية هي تعارض العلم ولأجل ذلك نطرحها ولا نستطيع اعتبارها والأخذ بها. فكيف اذا كان النص القرآني يخالف بعض العلـوم ويعارضها فهل تطرحون القرآن ايضا. وهذا اشكال المستشرقين على الدين. والفرق بينهم هو انتم طرحتم السنة فقط، وهمطرحوا الدين بكامله بدعو انه بشري ومختص بذلك الزمان والآن لا يصلح لزماننا. وقد أُجيب على هذا الاشكال ان الدين من الله سبحانه. وهذا اشكال في المبنى والاصل الذي اعتمد عليه المستشرقون في ان القرآن

أو السنة النبوية، كلام بشري وليس وحيا إلهي، خلافاً لما يعتقده المسلمون انه وحي من الله سبحانه وليس بشري.

دعوى أن السنة النبوية هي سبب خلافاتنا نحن المسلمين. يرد عليه:

١. أن الاختلاف في النص لا يؤدي الى طرحه وعدم صلاحيته هذا أول الكلام كيف استدل على هذا. وهذا قولكم يشمل القرآن كذلك فالتفاسير شاهدة على ذلك وكذلك كتب الفقه خصوصا في آيات الاحكام.

٢. أن الاختلاف ليس سببه النص وإنما الاختلاف في فهم النص. وهذا يجري حتى في العلوم الطبيعية كذلك في التجارب فلا تطرح العلوم لأجل الاختلاف.

النتائج:

١. القرآنيون؛ مصطلح يطلق على الذين يحصرون المعرفة الدينية في القرآن الكريم دون غيره من المصادر مثل السنة النبوية والاجماع وغيرها.

٢. عدم وجود مرجعية أخرى في واقع الدين إلا للقرآن، أي إنكار حجية السنّة مطلقاً.

٣. حصر المرجعية الدينية في النص القرآني عند القرآنيين الذين ينكرون السنة بخلاف النوع الآخر الذي يقول بحجية السنة ولكن بحاكمية النص القرآني. حيث يشتركون بحاكمية النص القرآني ويفترقون بالحصر وعدمه.

٤. مصطلح القرآنيين ينطبق على النوع الاول الذي يحصر الحاكمية على النص القرآني ولا ينطبق على النوع الثاني وان يشترك معه من حيث الحاكمية.

٥. القائلون بالنوع الآخر اعتمدوا على نصوص احاديث العرض على الكتاب. بخلاف الرافضين للحاكمية الذين رفضوا احاديث العرض على الكتاب وادعوا انها من الاسرائيليات.

٦. الاشكال وعدم القبول به هو النوع الاول بكلا قسميه الذي ينكر السنة النبوية وليس النوع الثاني الذي عليه جملة من علماء الوسط الشيعي وخصوصا المعاصرين.

٧. اشكالات ودعوى القرآنييننمن النوع الاول غير تامة وغير مبرهن عليها اصلا فلا اعتبار لها من الاساس.

هذا وأخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين. سائلا المولى قبول هذا اليسير ونكون قد وفقنا في اعطاء فكرة وجيزة عن هذا الموضوع.

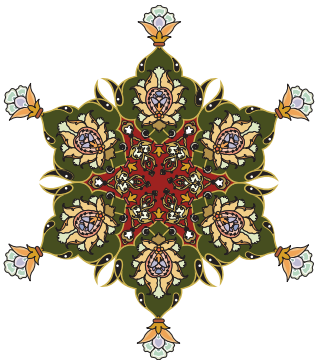

الهوامش:

(١) انظر: خادم حسين الهي بخش، القرآنيون، ص٧ -٨.

(٢) محمود محمد مزروعة، شبهات القرآنيين حول السنة النبوية، ص٤١.

(٣) أنظر: موقع التيار القراني و احمد صبحي منصور، موقع أهل القرآن.. من شبكة الانترنت.

(٤) حيدر حب الله، المحاضرة التي أُلقيت في جامعة آل البيت العالميّة في مدينة قم، في إيران، وقد قررنا ذلك.

(٥) محمود محمد مزروعة، شبهات القرآنيين حول السنة النبوية، ص٣١.

(٦) انظر: خادم حسين الهي بخش، القرآنيون، ص٢٨ -٣٢.

(٧) محمود محمد مزروعة، شبهات القرآنيين حول السنة النبوية، ص٤٠.

(٨) انظر: محمد حسين عرشي، قرآن سي قرآن تك، ص١٥.

(٩) أنظر: مجلة البيان ص٣، عدد نوفبر ١٩٤٠م.

(١٠) انظر: خادم حسين الهي بخش، القرآنيون، ص٣٩.

(١١) نسبة الى مقاطعة بهوبال الهندية.

(١٢) انظر: محمد سرفواز خان، إنكار حديث، ص٥٧.

(١٣) انظر: خادم حسين الهي بخش، القرآنيون، ص٤١ -٤٥.

(١٤) محمد علي جناح ولد بكراتشي عام ١٨٧٦م، وتوفي ١٩٤٨م.. بعد استقلال باكستان بعام واحد.. نال المحاماة من إنجلترا، ثم عاد والتحق بالمؤتمر الهندي، ثم تركه ونشط في حركة العصبة الإسلامية وحين استقلت باكستان عام ١٩٤٧م، أصبح جناح أول زعيم لهذه الدولة الفتية. الموسوعة العربية ص٦٤٧.

(١٥) فرقة أهل القرآن، ص٨.

(١٦) محمود محمد مزروعة، شبهات القرآنيين حول السنة النبوية، ص٧٢.

(١٧) أنظر: الشيخ الانصاري، مرتضى، فرائد الاصول، ج١، ص٢٤٧.

(١٨) أنظر: السيد الحائري، مباحث الاصول، تقريرات مباحث الاصول للشهيد الصدر محمد باقر،، ج٢، ص٣٥٦ -٣٥٧.

(١٩) انظر: خادم حسين الهي بخش، القرآنيون، ص٢٠٩ -٢٥٦.

المصـــــادر:

القرآن الكريم.

١. الانصاري، مرتضى بن محمد امين، فرائد الاصول، ط٢٣، مجتمع الفكر الاسلامي، مطبعة كل ورودي، قم ١٤٣٨ هـ.

٢. الجيلاني مفتاح، الحداثيون العرب والقرآن الكريم، دار النهضة، ط١، دمشق، ٢٠٠٦م.

٣. حيدر حب الله، حجيّة السنّـة في الفكر الإسلامي، قراءة وتقويم، نشر مؤسّسة الانتشار العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠م.

٤. خادم حسين الهي بخش، القرآنيون وشبهاتهـم حول السنـــة، مكتبة الصديق، ط٢، ٢٠٠٠م.

٥. الدكتور احمد صبحي منصور، موقع أهل القرآن، http://www.ahl.alquran.com/arabic/ahmed_mansour.php.

٦. سعيد ناشيد، الحداثة والقرآن، دار التنوير، ط٢، بيروت، ٢٠١٥م.

٧. السيد كاظـم الحـــائري، مباحث الاصول، تقرير اتلابحاث الشهيد الصدر، محمد باقر، دار البشير، ط١، قم ١٤٢٨ هـ.

٨. عثمان بن معلم محمود بن شيخ علي، شبهات القرآنيين، موقع الإسلام.

٩. علي محمد زينو، القرآنيون، نشأتهم عقائدهم أدلتهم، ط١، دار القبس، دمشق، ٢٠١١م.

١٠. مجلة البيان، اللاهورية، عدد نوفبر ١٩٤٠م.

١١. المحاضرة التي أُلقيت في جامعة آل البيت العالميّة في مدينة قم، في إيران، بتاريخ ٣/ ١٢/ ٢٠١٣م.

١٢. محمد حسين عرشي، قرآن سي قرآن تك، ط١ نامي لاهور، ١٩٧٥م.

١٣. محمد سرفراز خان، انكار حديث، مطبعة أردو لاهور.

١٤. محمـود محمـد مزروعـــة، شبهات القرآنيين حول السنة النبوية، موقع الإسلام.